مجلة بحوث جامعة تعز - العدد (١) - ص(١٩٩-٢١٠)-١٩٩٨م

التطور العمراني لمدينة صنعاء *

دكتور/عبدالحكيم ناصر العشاوي

كلية الآداب

ملخص

تشكل مدينة صنعاء المدينة الرئيسية، بين المدن اليمنية حيث أنها أكبر مركز حضري في اليمن مستقطبة معظم الأنشطة الاقتصادية والاجتماعية والإدارية . وشهدت غالبية المدن اليمنية ومنها مدينة صنعاء بشكل خاص، زيادة في عدد السكان بفعل الهجرة الداخلية من الريف والحضر، فضلا عن الزيادة الطبيعية المتزايدة بفعل التقدم الصحي ونتج عن ذلك نمو سكاني سريع انعكس على التوسع العمراني لمدينة صنعاء حيث برزت بعض المشاكل التعليمية ، كما انتشرت بعض المساكن العشوائية وتدني مستوى الخدمات الاجتماعية والعامة لسكانها. ولا يتم التعرف على تلك المشاكل وبيان الخصائص الاقتصادية والاجتماعية والعمرانية والتخطيطية إلا من خلال الدراسة التفصيلية والميدانية و باتباع الأساليب العلمية في البحث من أجل معرفة موقع المدينة ودراسة جوانبها على أمل توظيفها للوصول الى البديل الأفضل لتطوير المدينة. وعلى الرغم من تزايد الاهتمام بدراسة المدن اليمنية في السنوات الأخيرة، إلا أنه ما يشهده القطر اليمني من تطور سريع في مختلف مجالات الحياة يدفع الباحثين الى الإسهام بذلك لكي توجه مسارات التطور الحضاري في المسار المطلوب خدمة للإنسان اليمني .وسوف نتناول هنا في هذه الأسطر القليلة نشأة المدينة وعوامل تطورها ومراحل التطور العمراني بشكل مختصر.

بحث من رسالة الدكتوراه الموسومة (مدينة صنعاء تركيبها الداخلي وعلاقتها الإقليمية) مقدمة من قبل الباحث عبدالحكيم ناصر العشاوي الى قسم الجغرافيا بكلية الآداب بجامعة بغداد ،١٩٩٦م

ورد هذا البحث للنشر في ٩٨/٣/٢٩م. - قبل للنشر في ٩٨/٥/٥م

النشأة والتسمية :

مدينة صنعاء من أعرق وأقدم المدن العربية التي تعود الى العهدين السبئي والحميري وتشير بعض الدراسات الى أنها ظهرت بعد الطوفان وأن سام بن نوح هو أول من أسسها ولهذا فقد سميت مدينة سام نسبة إليه كما سميت في الجاهلية مدينة أزال أما اسمها الحالي فقد ذكر في نقوش العهد السبئي[١] .

تتميز مدينة صنعاء بأنها نشأت بصورة تدريجه تلقائية طبيعية مقارنةً بالعديد من المدن الإسلامية كبغداد مثلاً الذي اختطها أبو جعفر المنصور أو المدن الحديثة بناءً على قرار أصدرته السلطات ذات العلاقة وطبقاً لمخطط مسبق [٢]

عوامل التطور للمدينة : (طبيعية - بشرية)

العوامل الطبيعية (المواقع - الموضع)

الموقع : تقع مدينة صنعاء فلكياً علي خط طول ٤٤١٢ شرقاً وعلى دائرة عرض ١٥٢١ شمالاً. فموقعها الاستراتيجي الواقع في وسط اليمن تقريباً ساعدها لتكون عاصمة للبلد وساعد على تطورها عمرانياً واقتصادياً . خارطة (١)

الموضع: ويقصد بالموضع المكان الذي أنشئت فيه المدينة وتطورت عليه على مدى عمرها ويشمل دراسة التركيب الجيولوجي والسطح والموارد المائية والمناخ والتربة

والنبات الطبيعي وتتفاعل هذه العناصر لتؤثر بشكل مباشر أو غير مباشر في البنية الوظيفية والتخطيطية للمدينة ، وذلك يعني تفاعل مقومات الموضع والموقع وانعكاس ذلك على تشكيل المدنية . خارطة (٢)

.العوامل البشرية : (طرق النقل ـ التخطيط ـ التجارب الوظيفي)

ـ طرق النقل : تمثل الطرق الوسيلة التي تؤدي الي خدمة الإنتاج والتسويق والاستهلاك وهي وسيلة تربط أنحاء المدينة مع بعضها والتي من خلالها تتصل المدينة بإقليمها حيث لا يمكن ان يحدث تفاعل وتكامل بين المدينة وإقليمها مالم تحدث عمليتا الحركة والنقل (٣)

التخطيط : بقيت المدينة في اليمن حتي عام ١٩٦٢ تنمو نمواً تلقائياً معتمدة على طريقة التجربة والخطاء في ممارسات تخطيطية تفقد الشمولية، أما بعد ١٩٦٢م فقد بدأ التدخل الحكومي ممثلاً بوزارة الإنشاءات والإسكان والتخطيط الحضري ، مما يبين تأخر وخول التخطيط بمفهومه المعاصر الي اليمن .

--التجاذب الوظيفي : كان لعملية التجاذب الوظيفي منذ ان تطورت المدينة دوره في توزيع استعمالات ارض معينة حلت محل استعمالات ارض أخرى مما يذكـــر بعملية الغزو

(تجاري محل سكني) [٤] .

- مراحل تطور مدينة صنعاء

يساعد تحديد مراحل تطور المدينة ودراستها علي فهم نسيج المدينة والعلاقـــة بـــين الوظيفة والشكل.

فقد تم تحديد مراحل التطور اعتمادا علي المايير الاتية:

أنظمة الطرق (الشوارع)

--طراز البناء ومواده

--مساحة المبني .

--المرحلة الأولى : ماقبل عام (١٥٣٧)

نشأت مدينة صنعاء بصورة تدرجية تلقائية طبيعية عززتها العوامل الأخرى ومـــن المعتقد أن التجمع البشري في صنعاء قد بدأ علي شكل قرية تطورت تدريجياً من مجموعـــة قرى متناثرة في حوض صنعاء مثل قرية صنعاء وقرية شعوب وقرية حدة والروضة [٥]

اما بخصوص أنظمة الطرق فانها آخذت بالنظام العضوي الذي يتكون من أزقة ملتوية وضيقة وغير مستوية أي انها لاتتبع نمطا موحداً من حيث الاتساع والاتجاه , كما ان عرض بضعها لا يتجاوز المترين وذلك لعوامل طبيعية وامنية أما الطراز المعماري في هذه المرحلة فهو الطراز المعماري الحميري الأصيل . بالنسبة لمساحة المسكن في هذه المرحلة كانت لا تتجاوز في اغلب الأحيان ١٠٠م كمتوسط أما مواد المحلية كالحجار اليأجور والجبس والقضاض وكانت مساحة المدنية في هذه المرحلة لاتتجاوز ١,٧ كم٢ ويسكنها ٣٧ ألف نسمة.

-المرحلة الثانية :١٥٣٨ حتى ١٩٦١ م :

تجاوزت المدينة في هذه المرحلة حدودها السابقة إذ بدأت تظهر بوادر نمو توسع بعد ان ضاقت المدينة القديمة بسكانها إذا اضطروا الي تجاوز السور والبناء خارجه في مناطق مجاورة له غرب المدينة القديمة الأمر الذي أدى الي ظهور أحياء سكانية هي بير العزب وحي القاع [٦].

اما نظام الشوارع فاستمر عضويا مع استقامة نسبية واكثر سعة ايضاً عن المرحلة السابقة . وقد اصاب نمط البناء في المرحلة السابقة(المدينة القديمة) إذ تظهر اثار الطابع التركي علي بعض من مباني هذه المرحلة . وبالنسبة لمساحة المساكن فقد وصلت الي (١٥٠متر مربع) كمعدل واستخدم مواد البناء المحلية السابقة وتبلغ مساحة المدينة في هذه المرحلة (٢،٤ كيلومتر مربع) ويسكنها (٥٠الف نسمة) .

-المرحلة الثالثة : ١٩٦٢م حتى ١٩٧٠م

انطلقت حركة التوسع العمراني بعد قيام الثورة عام ١٩٦٢م حيث توجه الزحف العمراني في مدينة صنعاء في جميع الاتجاهات علي حساب الأراضي الزراعية المجاورة .

في هذه المرحلة من توسعها تفاوتت أنماط عمارتها بين محاولة الحفاظ على فن المعمار اليمني الصنعاني العربي القديم المتأثر بالطراز الحميري والملامح التركية الدخيلة والأنماط الأوروبية الجديدة مما أدى الي تطورات معمارية تخطيطية مهمة في مدينة صنعاء خلال هذه المرحلة إذ بدأت الشوارع تستقيم وتغطى بالإسفلت ألا أن التوسع بشكل كبير ولغياب الوعي التخطيطي توسعت المدينة بطريقة عشوائية بعيده عن التخطيط العلمي الصحيح .

ألا أنها في المرحلة بدأ ظهور النمط الشعاعي والشبه الدائري للشوارع في المدينة . اما بالنسبة لمساحة المسكن فقد زادت حيث وصلت الى ٢٠٠م٢ ، وقد بلغت مساحة المدينة في هذه المرحلة ٢٩ كم٢ ويسكنها ٨٠ ألف نسمة في بداية المرحلة .

أما مواد البناء فإنها محلية إضافة للمواد المستوردة فالحديد والأسمنت .....

-المرحلة الرابعة : بعد عام ١٩٧٠م .

دخلت مدينة صنعاء التي استجابت للتغيرات بعد عام ١٩٧٠م المرحلة المعاصرة (الرابعة) وهي مرحلة ازدهار وتطور نشيط في مختلف الأنشطة الاجتماعية والاقتصادية والأساسية مما انعكس على النمو العمراني الذي أدى ظهورا حياء جديدة متباينة في

مستوياتها ، فهناك أحياء راقية مثل حي حدة والحي الدبلوماسي واحياء فقيرة ومتواضعة مثل حي حمير ومسيك ونقم ، وبفعل تدخل التخطيط الذي جاء متأخرا خاصةً في اطراف المدينة كمان منطقة دار سلم وبيت بوس ومدينة الاصبحي ، نمت هذه المناطق والتحمت مع المدينة المركزية (الأم) .حيث توسعت المدينة لتصل مساحتها إلى ١٤٠ كم٢ عام ١٩٩٤م ويسكنها ٩٧٢٠١١ نسمة تقريباً لنفس العام . (٧) أما ما يخص نمها الشوارع فقد دخل اضافة للشوارع الشعاعية والشبه دائرية النمط الشبكي وبالنسبة لنمط البناء فقد اصابه تغير عما كان سائداً في المراحل السابقة حيث غزا النمط الغربي الحديث ممثلا بنظام البيوت المستقلة (الفلات) ذات الحدائق الواسعة الي توجد في بعضها مسابح خاصة ، أما مساحة المسكن فقد زادت عن (٤٠٠م٢) كمعدل وذلك بسبب توافر الأراضي خارج المدينة مما وفر للعوائل المشطرة فرصة الاستقلال وبما يناسب متطلبات العصر .

أما مواد البناء فقد تزايد الاعتماد على المواد المستوردة (حديد وأسمنت وألمنيوم ،...) بدلاً من المواد المحلية مما اسهم في إعطاء المدينة في بنيتها الجديدة ، والجدول التالية والخارطة (٣) تبين لنا هذه المراحل من أجل عرض ومتابعة تطور المدينة بمراحلها المورفولوجيه حيث كانت تنمو في المرحلة الأولى والثانية تراكمياً ضمن الاطار القديم المحدد بالسور، مع وجود بعض النويات الثانوية في الجراف والروضة وحدة، مما شجع بالنتيجة على ممارسة نمط النمو الأفقي للمدينة من خلال عملية النمو القافز ورافق ذلك عملية النمو بطريقة الزحف مما يفسر عملية الاندماج بين نويات عدة لتكون الحيز الحضري الحالي للمدينة ، مقارنة مع النمو في المرحلة الثالثة حيث ساد النمط التراكمي

بسياقاته السابقة في الوقت الذي استمرت النويات الثانوية (المتوائمة) مع مدينة صنعـــاء بالتوسع ، مما أدى في المرحلة الرابعة إلى اندماج المدينة المركزية مع النويات الثانوية رافـــق ذلك أن بدأت مرحلة النمط الشريطي الممتد مع خطوط النقل الرئيسية خاصـــة الطـــرق المؤدية الى مدن تعز وصعده والحديدة ومأرب، فضلاً عن وجود مناطق سكنية متناثرة في أكثر من جهة .(٨)

الجدول الأتي يبين مراحل تطور مدينة صنعاء.

المعايير / المراحل	السكان بالألف نسمة	المساحة كم٢	نمط البناء	مواد البناء	أنظمة الشوارع	مساحة المسكن م٢
الأولى ما قبل ١٩٣٧م	٣٧	١,٦٨	اليمني الأصيل	محلية صخور، يأجور جبس، قضاض	عضوي	١٠٠
الثانية ١٥٣٨-١٩٦١م	٥٠	٢,٤	النمط المحور (يمني - تركي)	المواد المحلية نفسها	عضوي مع استقامة بسيطة	١٥٠
الثالثة ١٩٦٢-١٩٧٠م	٨٠	٢٩	النمط المحور (يمني - تركي- أوربي)	محلية ومستوردة (حديد - أسمنت)	شعاعي وشبه دائري	٢٠٠

الرابعة بعد ١٩٧٠	٩٧٢	١٤٠	النمط المحور (يمني - أوربي)	مستوردة (حديد - أسمنت - ألمونيوم)	شعاعي وشبه دائري وشبكي	٤٠٠

المصادر والهوامش :

١- محمد عبدالقادر بافقيه ، الرحبة وصنعاء في استراتيجية بناء الدولة السبئية ، مجلة الاكليل ، العدد ٤٣ ، ١٩٨٨ .

٢- عبدالرحمن يحيى الحداد ، المظاهر التاريخية للتطور الحضري لمدينة صنعاء القديمة ، دراسات يمنية ، العدد ٤٥ ، مركز الدراسات والبحوث اليمنية ، ١٩٩٢ .

٣- خالص حسني الاشعب ، صباح محمود محمد ، مورفولوجية المدينة ، مطبعة الجامعة ، بغداد ، ١٩٨٣ .

٤- محمد ازهر السماك ، هاشم الجنابي، صلاح الجنابي ، استخدامات الأرض بين النظرية والتطبيق ، جامعة الموصل ، ١٩٨٥م .

٥- مصطفى عبدالعال تمام ، مدينة صنعاء ومسيرة التطور الاستيطاني الحضري ، مجلة كلية الآداب ، جامعة صنعاء ، العدد ٨، ١٩٨٨م .

٦- عباس فاضل السعدي ، مدينة صنعاء ، الجمعية الجغرافية الكويتية، العدد ١١٥ ، الكويت ، ١٩٨٨م .

٧- الجمهورية اليمنية ، الجهاز المركزي للإحصاء ، التعداد العام للسكان والمساكن والمنشآت ديسمبر ١٩٩٤م ، التقرير العام، ١٩٩٦م .

٨- عبدالحكيم ناصر العشاوي، مدينة صنعاء تركيبها الداخلي وعلاقاتها الإقليمية ، مركز عبادي للدراسات والنشر، صنعاء، ١٩٩٧م

خريطة (١) موقع مدينة صنعاء

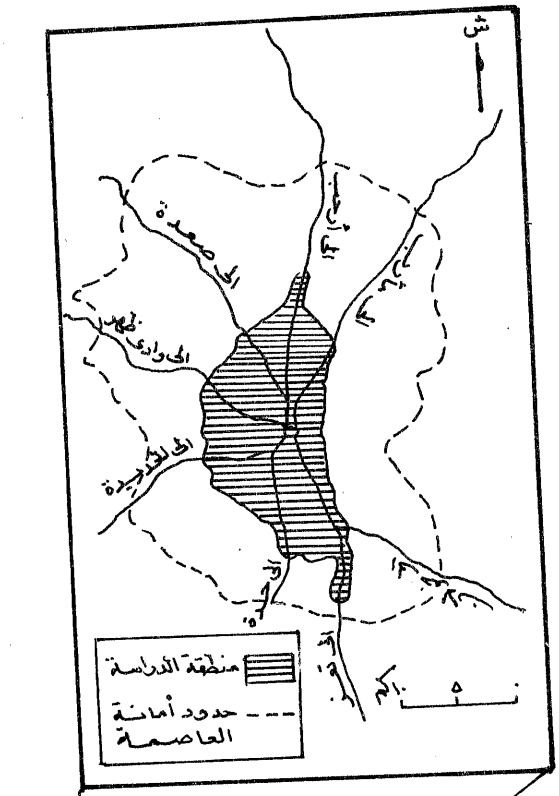

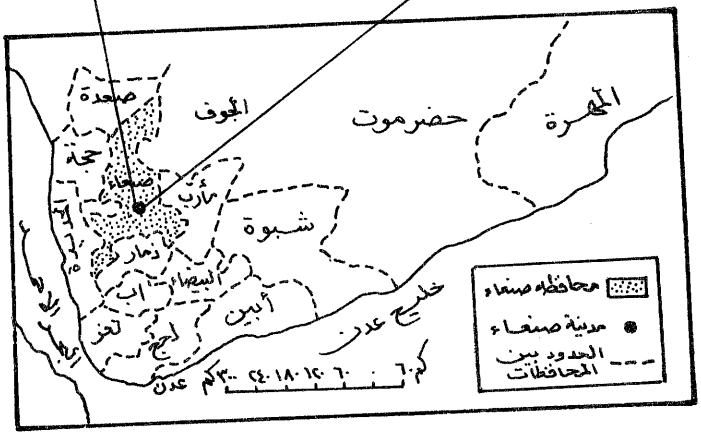

خريطة الجمهورية اليمنية

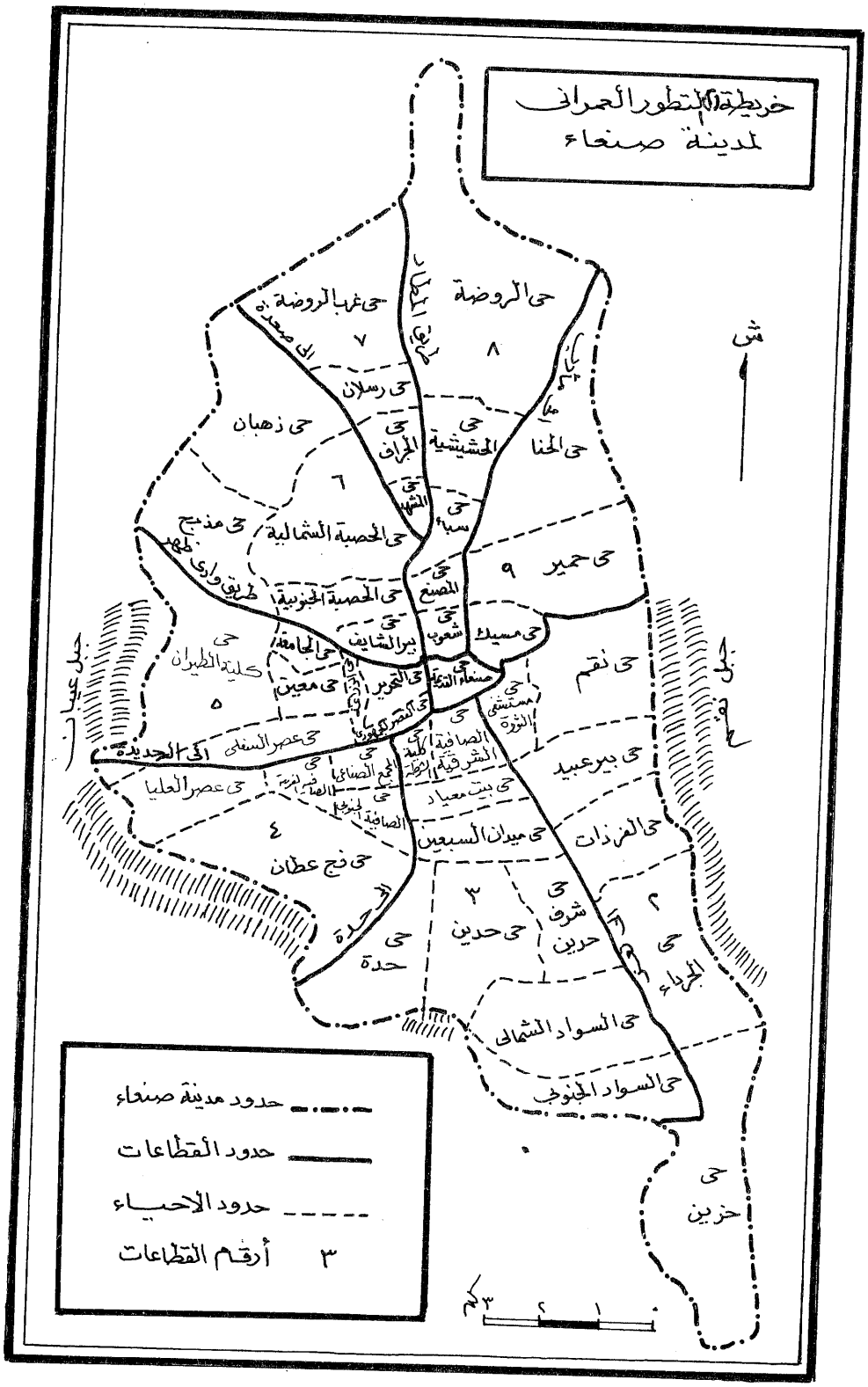
خريطة التطور العمراني
لمدينة صنعاء
حي الروضة
٨
حي غرب الروضة
٧
حي رسلان
حي زهبان
حي الحشيشية
حي الحنا
٦
حي الحصبة الشمالية
حي حمير
٩
حي الحصبة الجنوبية
حي المصنع
حي مسيك
حي نقم
حي كلية الطيران
٥
حي معين
حي التحرير
حي عصر السفلى
حي بير عبيد
حي عصر العليا
حي بيت معياد
حي الفرزات
٤
حي ميدان السبعين
حي فج عطان
٣
حي حدين
حي شرف حدين
٢
حي حدة
حي السواد الشمالي
حي السواد الجنوبي
حي حزين
حدود مدينة صنعاء
حدود القطاعات
حدود الأحياء
٣ أرقام القطاعات
٣ ٢ ١ كم

خريطة (٣) الرقعة العمرانية لمدينة صنعاء
حسب مراحلها المورفولوجية